الفصل الأول

تعريف وبيان

تعريف وبيان

ما الجن ؟

الجن عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة ، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك ، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر ، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان .

وسموا جنّاً لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون ، (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) « سورة الأعراف / ٢٧ » .

أصلهم :

أخبرنا الله جلَّ وعلا أن الجنَّ قد خُلقوا من النار في قوله : (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم) « سورة الحجر / ٢٧ » ، وفي سورة الرحمن ، (وخلق الجان من مارج من نار) « آية ١٥ » ، وقد قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والحسن وغير واحد في قوله : (مارج من نار) طرف اللهب ، وفي رواية من خالصه وأحسنه : (البداية والنهاية ١ / ٥٩) وقال النووي في شرحه على مسلم : « المارج اللهب المختلط بسواد النار » .

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

متى خُلقوا ؟

لا شك أن خلق الجن متقدم على خلق الإنسان لقوله تعالى : (ولقد خلقنا

الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم) « سورة الحجر / ٢٦ ـ ٢٧ » فقد نص في الآية أن الجان مخلوق قبل الإنسان ، ويرى بعض السابقين أنهم خلقوا قبل الإنسان بألفي عام وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنَّة .

أسماء الجن في لغة العرب :

قال ابن عبد البر : الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

١ ـ فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جني .

٢ ـ فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس ، قالوا : عامر والجمع عمار .

٣ ـ فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا : أرواح .

٤ ـ فإن خبث وتعرض قالوا : شيطان .

٥ ـ فإن زاد أمره على ذلك وقوي أمره قالوا : عفريت

أصناف الجن :

يقول الرسول ـ ﷺ ـ في هذا : (الجن ثلاثة أصناف : فصنف يطير في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون) رواه الطبراني ، والحاكم ، والبيهقي في الأسماء والصفات بإسناد صحيح « صحيح الجامع ٨٥/٣ » .

لا مجال للتكذيب بعالم الجن :

أنكرت قلة من الناس وجود الجنِّ إنكاراً كلياً ، وزعم بعض المشركين : أن المراد بالجن أرواح الكواكب « مجموع الفتاوى ٢٤ / ٢٨٠ » .

وزعمت طائفة من الفلاسفة : أن المراد بالجن نوازع الشر في النفس الإنسانية وقواها الخبيثة كما أن المراد بالملائكة نوازع الخير فيهم . « مجموع الفتاوى ٣٤٦/٤ » .

وزعم فريق من المحْدَثين (بفتح الدال المخففة) : أن الجن هم الجراثيم والميكروبات التي كشف عنها العلم الحديث .

وقد ذهب الدكتور محمد البهي (في تفسير سورة الجن) أن المراد بالجن الملائكة ، فالجن والملائكة عنده عالم واحد لا فرق بينهما ؛ ومما استدل به : أن الملائكة مستترون عن الناس ، إلا أنه أدخل في الجن من يتخفىٰ من عالم الإنسان في إيمانه وكفره ، وخيره وشره « تفسير سورة الجن ص ٨ » .

عدم العلم ليس دليلاً :

وغاية ما عند هؤلاء المكذبين أنه لا علم عندهم بوجودهم ، وعدم العلم ليس دليلا [1] ، وقبيح بالعاقل أن ينفي الشيء لعدم علمه بوجوده ، وهذا مما نعاه الله على الكفرة : (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) « سورة يونس / ٣٩ » ، وهذه المخترعات الحديثة التي لا يستطيع أحد أن يكابر فيها ، أكان يجوز لإنسان عاش منذ مئات السنين أن ينكر إمكان حصولها لو أخبره صادق بذلك ؟ وهل عدم سماعنا للأصوات التي يعج بها الكون في كل مكان دليل على عدم وجودها حتى إذا اخترعنا (الراديو) واستطاع التقاط ما لا نسمع صدقنا بذلك ؟ !

والصحيح :

والقول الحق أن الجن عالم ثالث غير عالم الملائكة والبشر ، وأنهم مخلوقات عاقلة واعية مدركة ليسوا بأعراض ولا جراثيم ، وأنهم مكلفون مأمورون منهيون .

---

(١) ليس لهم أن يحتجوا بما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان ينكر مخاطبة الرسول ـ ﷺ ـ للجن وتكليمهم له ، فإن انكاره هنا للمشافهة لا للجن ، ومع ذلك فغير ابن عباس كابن مسعود يثبت مشافهة الرسول ـ ﷺ ـ (ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) .

الأدلة :

١ ـ التواتر :

يقول ابن تيمية « مجموع الفتاوى ١٩ / ١٠ » : لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، ولا في أن الله أرسل محمداً ـ ﷺ ـ إليهم ، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن ، أمّا أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرُّون بهم كإقرار المسلمين ، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك . وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك ... كالجهمية والمعتزلة ، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك .

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالضرورة ، ومعلوم بالضرورة أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة ، بل مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره ، كما يزعمه بعض الملاحدة ، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً تعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة من المنتسبين إلى الرسل الكرام أن تنكرهم .

وقال في ص ١٣ « جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن ، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب ، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد حام ، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونان من أولاد يافث فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن » .

٢ ـ النصوص القرآنية والحديثية :

كقوله تعالى : (قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن) « سورة الجن / ١ » وقوله : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فزادوهم رهقا) « سورة الجن / ٦ » .

وهي نصوص كثيرة سيأتي ذكر غالبها في ثنايا هذه الرسالة إن شاء الله .

٣ ـ المشاهدة والرؤية :

كثير من الناس في عصرنا وقبل عصرنا شاهد شيئاً من ذلك ، وإن كان كثير من الذين يشاهدونهم ويسمعونهم لا يعرفون أنهم جنٌّ ، إذ يزعمون أنَّهم أرواح ، أو رجال الغيب ، أو رجال الفضاء ...

وقد حدثنا الثقات في القديم والحديث عن مشاهداتهم . فهذا عالم جليل يدعى الأعمش يقول : تروَّح إلينا جني ، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال : الأرز ، قال : فأتيناهم به ، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا ، فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم ، فقلت : فما الرافضة فيكم ؟ قالوا : شرنا .

قال ابن كثير بعد سوقه لهذه القصة : عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزي ، فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش . ثمَّ قال : وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال : سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد :

قلوب براها الحب حتى تعلقـــت ... مذاهبها في كل غرب وشارق
تهيم بحـب الله ، والله ربهـــا ... معلقة بالله دون الخلائـــق

ا.هـ كلام ابن كثير .

أقول : وقد حدثني كثير من الثقات عن مخاطبتهم للجن ورؤيتهم لهم ، وسيأتي ذكر شيء من ذلك عند حديثنا عن قدرتهم على التشكل بصور مختلفة ؛ إن شاء الله تعالى .

٤ ـ أصلهم الذي خلقوا منه :

أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الملائكة خلقوا من نور والجن خلقوا من نار ، ففرق بين الأصلين ، وهذا يرد على الذين لا يفرقون بين الجن والملائكة .

رؤية الحمار والكلب للجن :

إذا كنا لا نرى الجن فإن بعض الأحياء يرونهم كالحمار والكلب ، ففي مسند أحمد ، وسنن أبي داود بإسناد صحيح عن جابر مرفوعا : «إذا سمعتم نباح الكلاب ، ونهيق الحمير بالليل ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنهن يرون ما لا ترون» .

وهذا ليس غريباً فقد تحقق العلماء من قدرة بعض الأحياء على رؤية ما لا نراه ، فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية ، ولذلك فإنَّه يرى الشمس حال الغيم ، والبومة ترى الفأر في ظلمة الليل البهيم ...

الشيطان والجان

الشيطان الذي حدثنا الله عنه كثيراً في القرآن من عالم الجنِّ ، كان يعبد الله في بداية أمره ، وسكن السماء مع الملائكة ، ودخل الجنة ، ثمَّ عصى ربه عندما أمره أن يسجد لآدم استكباراً وعلواً وحسداً ، فطرده الله من رحمته .

والشيطان في لغة العرب يطلق على كل عاتٍ متمرد ، وقد أطلق على هذا المخلوق لعتوّه وتمرده على ربِّه .

وأطلق عليه لفظ (الطاغوت) (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) (سورة النساء / ٧٦) وهذا الاسم معلوم عند غالبية أمم الأرض بنفس اللفظ كما يذكر العقاد في كتابه (إبليس) وإنما سمي طاغوتاً لتجاوزه حده ، وتمرده على ربه ، وتنصيبه نفسه إلهاً يعبد .

وقد يئس هذا المخلوق من رحمة الله ، ولذا أسماه الله (بإبليس) والَبَلَس في لغة العرب من لا خير عنده ، وأُبلس يئس وتحيّر .

ويذكر جمع من علماء السلف أن اسمه قبل أن يعصي (عزازيل) والله أعلم بمدى صحة ذلك .

الشيطان مخلوق :

الذي يطالع ما جاء في القرآن والحديث عن الشيطان يعلم أنه مخلوق يعقل ويدرك ويتحرك و ... وليس كما يقول بعض الذين لا يعلمون : « أنه روح الشر متمثلة في غرائز الإنسان الحيوانية التي تصرفه ، إذا تمكنت من قلبه عن المثل الروحية العليا » (دائرة المعارف الحديثة ص ٣٥٧) .

أصله :

سبق القول بأن الشيطان من الجن ، وقد نازع في هذه المسألة بعض المتقدمين والمتأخرين ، وحجتهم في ذلك قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس أبى ، واستكبر ، وكان من الكافرين) (سورة البقرة / ٣٤) ، وأمثال هذه الآية التي يستثني الله فيها إبليس من الملائكة ، والمستثنى لا يكون إلا من جنس المستثني منه عادة .

وقد نقلت لنا كتب التفسير والتاريخ أقوال جملة من العلماء ، يذكرون أن إبليس كان من الملائكة ، وأنه كان خازناً للجنة ، أو للسماء الدنيا ، وأنه كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ... إلى آخر تلك الأقوال ، قال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٩٧) : (وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها ، والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته للحقِّ الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفَّاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، كما لهذه الأمة من الأئمة ، والعلماء ، والسادة ، والأتقياء ، والبررة ، والنجباء من الجهابذة النقاد ، والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث ، وحرروا وبينوا صحيحه ، من حسنه ، من ضعيفه ، من منكره ، وموضوعه ، ومتروكه ، ومكذوبه ، وعرفوا الوضاعين ، والكذابين ، والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ،

كل ذلك صيانة للجناب النبوي ، والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ـ ﷺ ـ أن ينسب إليه كذب ، أو يحدث عنه بما ليس فيه » .

وما احتجوا به من أن الله استثنى إبليس من الملائكة ... ليس دليلا قاطعاً ؛ لاحتمال أن يكون الاستثناء منقطعاً ؛ بل هو كذلك حقا ، للنص على أنّه من الجن في قوله تعالى : (وإذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ، ففسق عن أمر ربه ..) (سورة الكهف / ٥٠) .

وقد ثبت لدينا بالنص الصحيح أن الجن غير الملائكة والإنس ، فقد أخبر المصطفى ـ ﷺ ـ : (أن الملائكة خلقوا من نور ، وأن الجن خلقوا من نار ، وأن آدم خلق من طين) والحديث في صحيح مسلم .

قال الحسن البصري : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين (البداية والنهاية ١ / ٧٩) ، والذي حققه ابن تيمية : أن الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار أصله ، ولا باعتبار مثاله) (مجموع الفتاوى ٤ / ٣٤٦) .

هل الشيطان أصل الجن أم واحد منهم ؟

ليس لدينا نصوص صريحة تدلنا على أن الشيطان أصل الجن ، أو واحد منهم ، وإن كان هذا الأخير أظهر لقوله تعالى : (إلا إبليس كان من الجن) (سورة الكهف / ٥٠) .

وابن تيمية يذهب إلى أن الشيطان أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . (راجع مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٥ ، ٣٤٦) .

طعام الجن وشرابهم :

ـ الجن والشيطان منهم ، يأكلون ويشربون ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ أمره أن يأتيه بأحجار يستجمر

بها ، وقال له : « ولا تأتيني بعظم ولا بروثة » ولما سأل أبو هريرة الرسول ـ ﷺ ـ بعد ذلك عن سرّ نهيه عن العظم والروثة ، قال : « هما من طعام الجن ، وإنّه أتاني وفد نصيبين ـ ونعم الجن ـ فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم : أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاما » وفي سنن الترمذي بإسناد صحيح : « لا تستنجوا بالروث ، ولا بالعظام ، فإنَّه زاد إخوانكم من الجن » (صحيح الجامع ٢ / ١٥٤) وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود « أتاني داعي الجن فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم لحما ، وكل بعرة علف لدوابكم ، فقال النبي ـ ﷺ ـ : « فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم » [1]

وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أن الشيطان يأكل بشماله ، وأمرنا بمخالفته في ذلك ، روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، وإذا شرب فليشرب بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله » .

وفي مسند الإمام أحمد « من أكل بشماله أكل معه الشيطان ، ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان » .

وفي المسند أيضاً « إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا ، وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله ، قال : أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء » وأخرجه مسلم أيضاً . ففي هذه النصوص دلالة قاطعة على أن الشياطين تأكل وتشرب .

وكما أن الإنس منهيون عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من اللحوم ،

---

(١) إذا كنّا منهيين عن إفساد طعام الجن فيحرم علينا من باب أولى إفساد طعام الإنس .

فكذلك الجن المؤمنون جعل لهم الرسول ـ ﷺ ـ طعاماً كل عظم ذكر اسم الله عليه ، فلم يبح لهم متروك التسمية ، ويبقى متروك التسمية لكفرة الجن : الشياطين ، فإن الشيطان يستحل الطعام إذا لم يذكر عليه اسم الله ، ولأجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن الميتة طعام الشيطان ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليها .

واستنتج ابن القيم من قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) (سورة المائدة / ٩٠) أن المسكر شراب الشيطان ، فهو يشرب من الشراب الذي عمله أوليـاؤه بأمره ، وشاركهم في عمله ، فيشاركهم في شربه ، وإثمه وعقوبته .

هل يتزاوج الجن ويتكاثرون ؟

الذي يظهر أن الجن يقع منهم النكاح ، وقد استدل بعض العلماء على ذلك بقوله تعالى في أزواج أهل الجنة (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (سورة الرحمن / ٥٦) وذكر صاحب (لوامع الأنوار البهية) حديثاً يحتاج إلى نظر في إسناده ، يقول : (إن الجن يتوالدون ، كما يتوالد بنو آدم ، وهم أكثر عدداً) رواه ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن قتادة . وسواء أصح هذا الحديث أم لم يصح فإن الآية صريحة في أن الجن يتأتى منهم الطمث وحسبنا هذا دليلاً .

وقد زعم قوم أن الجن لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتناكحون ، وهذا القول تبطله الأدلة التي سقناها من الكتاب والسنة .

وبعض العلماء ذكر أن الجن أنواع منهم من يأكل ويشرب ومنهم من ليس كذلك ؛ يقول وهب بن منبه « الجنُّ أجناس : فأمّا خالص الجن فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يموتون ، ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ، ويشربون، ويتوالدون ، ويتناكحون ، ويموتون ، قال : وهي هذه السعالى والغول وأشباه ذلك » . أخرجه ابن جرير (لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٢)

وهذا الذي ذكره وهب يحتاج إلى دليل ، ولا دليل . وقد حاول بعض العلماء الخوض في الكيفية التي يأكلون بها ، هل هو مضغ وبلع ، أو تشمم واسترواح ، والبحث في ذلك خطأ لا يجوز لأننا لا نعلم بالكيفية ، ولم يخبرنا الله ورسوله ﷺ .

زواج الإنس من الجن :

لا زلنا نسمع أن فلاناً من الناس تزوج جنية ، أو أن امرأة من الإنس خطبها جني ، وقد ذكر السيوطي آثاراً وأخباراً عن السلف والعلماء تدل على وقوع التناكح بين الإنس والجن . يقول ابن تيمية (المجموع ١٩ / ٣٩) : « وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف » .

وعلى فرض إمكان وقوعه فقد كرهه جمع من العلماء كالحسن وقتادة والحكم وإسحاق ، والإمام مالك ـ رحمه الله ـ لا يجد دليلاً ينهي عن مناكحة الجن ، غير أنّه لم يستحبه ، وعلل ذلك بقوله : « ولكني أكره إذا وجدت امرأة حامل فقيل من زوجك ؟ قالت : من الجن فيكثر الفساد » .

وذهب قوم إلى المنع من ذلك ، واستدلوا على مذهبهم بأنَّ الله امتن على عباده من الإنس بأنّه جعل لهم أزواجاً من جنسهم : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً ؛ لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) (سورة الروم / ٢١) .

فلو وقع فلا يمكن أن يحدث التآلف والانسجام بين الزوجين لاختلاف الجنس ، فتصبح الحكمة من الزواج لاغية ، إذ لا يتحقق السكن والمودة المشار إليهما في الآية الكريمة .

وعلى كل فهذه مسألة يزعم بعض الناس وقوعها في الحاضر والماضي ، فإذا حدثت فهي شذوذ ـ قلما ـ يسأل فاعلها عن حكم الشرع فيها وقد يكون فاعلها مغلوباً على أمره لا يمكنه أن يتخلص من ذلك .

ومما يدل على إمكان وقوع التناكح بين الإنس والجن أن حور الجنة قال الله فيهن:(لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) (سورة الرحمن / ٥٦) فدلت الآية على صلاحيتهن للإنس والجن على حد سواء .

هل تموت الشياطين ؟

لا شك أن الجن ومنهم الشياطين يموتون ، إذ هم داخلون في قوله تعالى : (كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن / ٢٦ ـ ٢٨) .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول : « أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون » .

أما مقدار أعمارهم فلا نعلمها إلا ما أخبرنا الله عن إبليس اللعين أنه سيبقى حيّاً إلى أن تقوم الساعة : (قال : انظرني إلى يوم يُبعثون ، قال : إنك من المنظرين) . (سورة الأعراف / ١٤ ـ ١٥) .

أما غيره فلا ندري مقدار أعمارهم ، إلا أنهم أطول أعماراً من الإنس .

ومما يدلّ على أنهم يموتون أن خالد بن الوليد قتل شيطانة العزى ، (الشجرة التي كانت تعبدها العرب) ، وأن صحابياً قتل الجنى الذي تمثل بأفعى ، كما سيأتي بيانه .

مساكن الجن وأماكنهم وأوقات تواجدهم :

الجن يسكنون هذه الأرض التي نعيش فوقها ، ويكثر تواجدهم في الخراب والفلوات ، ومواضع النجاسات كالحمامات والحشوش والمزابل والمقابر ، ولذلك ـ كما يقول ابن تيمية ـ يأوي إلى كثير من هذه الأماكن التي هي مأوى الشياطين : الشيوخ الذين تقترن بهم الشياطين ، وقد جاءت الأحاديث التي تنهي عن الصلاة في الحمام ، لأجل ما فيها من نجاسة ، ولأنها

مأوى الشياطين ، وفي المقبرة لأنها ذريعة إلى الشرك ، مع أن المقابر قد تكون مأوى للشياطين .

ويكثر تواجدهم في الأماكن التي يستطيعون أن يفسدوا فيها كالأسواق ، فقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ أحد أصحابه قائلا : (لا تكونن إن استطعت أول من تدخل السوق ، ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان ، وبها ينصب رايته) رواه مسلم في صحيحه .

والشياطين تبيت في البيوت التي يسكنها الناس ، وتطردها التسمية ، وذكر الله ، وقراءة القرآن ، خاصة سورة البقرة ، وآية الكرسي منها ، وأخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن الشياطين تنتشر ، وتكثر بحلول الظلام ، ولذا أمرنا أن نكف صبياننا في هذه الفترة وهو حديث متفق عليه .

والشياطين تهرب من الأذان ولا تطيق سماع صوته ، وفي رمضان تُصَفَّد الشياطين .

من مجالس الشياطين :

تحب الشياطين الجلوس بين الظل والشمس ؛ ولذا نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن الجلوس بينهما ، وهو حديث صحيح مروي في السنن وغيرها .

دواب الجن :

في حديث ابن مسعود في صحيح مسلم أن الجن سألوا الرسول ـ ﷺ ـ الزاد ، فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، يقع في أيديكم لحماً ، وكل بعرة علف لدوابكم) .

فأخبر أن لهم دواب ، وأن علف دوابهم بعر دواب الإنس .

حيوانات تصاحبها الشياطين :

من هذه الحيوانات الإبل ، يقول الرسول ـ ﷺ : (إن الإبل خلقت

من الشياطين ، وإن وراء كل بعير شيطاناً) رواه سعيد بن منصور في سننه بإسناد مرسل حسن (صحيح الجامع ٢ / ٥٢) ومن أجل ذلك نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن الصلاة في مبارك الإبل ، ففي مسند احمد ، وسنن أبي داود أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (لا تصلوا في مبارك الإبل ، فإنها من الشياطين ، وصلوا في مرابض الغنم فإنها بركة ...) .

وفي سنن ابن ماجة باسناد صحيح : (ولا تصلوا في أعطان الإبل ، فإنها خلقت من الشياطين) .

وهذه الأحاديث ترد على من قال بأنَّ علة النهي عن الصلاة في مبارك الإبل نجاسة أبوالها وروثها ، فالصحيح أن روث وبول ما يؤكل لحمه غير نجس .

قبح صورة الشيطان :

الشيطان قبيح الصورة ، وهذا مستقر في الأذهان ، وقد شبه الله ثمار شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم برؤوس الشياطين ، لما علم من قبح صورهم وأشكالهم ، (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنّه رؤوس الشياطين) (سورة الصافات / ٦٤ ـ ٦٥) .

وقد كان النصارى في القرون الوسطى يصورون الشيطان على هيئة رجل أسود ذي لحية مدببة ، وحواجب مرفوعة ، وفم ينفث لهبا ، وقرون وأظلاف وذيل (دائرة المعارف الحديثة / ٣٥٧) .

الشيطان له قرنان :

ففي صحيح مسلم عن ابن عمر أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « لا تَحَرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ، ولا غروبها ، فإنَّها تطلع بين قرني شيطان » . وفي البخاري ومسلم عنه : « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ، ولا تَحَيَّنُوا بصلاتكم طلوع الشمس ، ولا غروبها ، فإنَّها تطلع

بين قرني شيطان » .

والمعنى أن طوائف من المشركين كانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها عند طلوعها وعند غروبها ، فعند ذلك ينتصب الشيطان في الجهة التي تكون فيها الشمس حتى تكون عبادتهم له .

وقد نهينا عن الصلاة في هذين الوقتين ، والصحيح أن الصلاة في هذين الوقتين جائزة إذا كان لها سبب كتحية المسجد ، ولا تجوز بلا سبب كالنفل المطلق ؛ لقوله ـ ﷺ ـ (لا تَحَيَّنُوا) أي لا تتقصدوا ومما ورد فيه ذكر قرن الشيطان حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يشير إلى المشرق ، فقال : « ها إن الفتنة ههنا ، إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان » . والمراد بقوله « حيث يطلع قرن الشيطان » أي جهة الشرق .

قدراتهم :

أعطى الله الجنَّ قدرة لم يعطها للبشر ، وقد حدثنا الله عن بعض قدراتهم ، فمن ذلك **سرعة الحركة والانتقال :**

فقد تعهد عفريت من الجن لنبي الله سليمان بإحضار عرش ملكة اليمن إلى بيت المقدس في مدة لا تتجاوز قيام الرجل من جلوس ، فقال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لَقَوي أمين ، قال الذي عنده علم من الكتاب : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ، فلما رآه مستقراً عنده قال : هذا من فضل ربي ...) (سورة النمل / ٣٩ ـ ٤٠) .

سبقهم الإنسان في مجالات الفضاء :

ومنذ القدم كانوا يصعدون إلى أماكن متقدمة في السماء ، فيسترقون أخبار السماء ، ليعلموا بالحَدَث قبل أن يكون ، فلما بعث الرسول ـ ﷺ ـ

زيدت الحراسة في السماء : (وأنّا لمسنا السماء ، فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا ، وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) (سورة الجن / ٨ ـ ٩) .

وقد وضح الرسول ـ ﷺ ـ كيفية استراقهم السمع ، فعن أبي هريرة يبلغ به النبي ـ ﷺ ـ « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كالسلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الذي قاله الحق ، وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترقو السمع ، ومستمعو السمع هكذا ، واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده ، وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض ، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها الى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه حتى يرمي بها الى الذي يليه ، الى الذي هو أسفلُ منه ، حتى يلقوها الى الأرض ، وربما قال سفيان : حتى تنتهي الى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة ، فيصدق ، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا بكذا وكذا ، فوجدناه حقاً للتي سمعت من السماء» رواه البخاري في صحيحه .

خرافة جاهلية :

وهذا العلم عن السبب الذي من أجله يرمي بشهب السماء قضي على خرافة كان يتناقلها أهل الجاهلية ، فعن عبد الله بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبيّ ـ ﷺ ـ من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ـ ﷺ ـ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله : « ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم . فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ؛ ولكنَّ ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً

سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا ، ثمَّ قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال . قال فسيتَخبر بعض أهل السموات بعضاً ؛ حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا . فتخطف الجنُّ السمع ، فيقذفون إلى أوليائهم ، ويرمون به فما جاءوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يَعْرِفون فيه ويزيدون » رواه مسلم في صحيحه .

علمهم بالإعمار والتصنيع :

أخبرنا الله أنه سخر الجن لنبيِّه سليمان ، فكانوا يقومون له بأعمال كثيرة تحتاج إلى قدرات ، وذكاء ، ومهارات ، (ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات) (سورة سبأ/١٣ - ١٤) .

ولعلهم قد توصلوا منذ القدم إلى اكتشاف مثل (الراديو والتلفزيون) ، فقد ذكر ابن تيمية (مجموع الفتاوى ١١ / ٣٠٩) أن بعض الشيوخ الذين كان لهم اتصال بالجن أخبره وقال له : « إن الجن يرونه شيئاً براقاً مثل الماء والزجاج ، ويمثلون له فيه ما يطلب منه من الأخبار به ، قال فأخبر الناس به ، ويوصلون إلى كلام من استغاث بي من أصحابي ، فأجيبه فيوصلون جوابي إليه » .

قدرتهم على التشكل :

للجن قدرة على التشكل بأشكال الإنسان والحيوان ، فقد جاء الشيطان المشركين يوم بدر في صورة سراقة بن مالك ، ووعد المشركين بالنصر ، وفيه أنزل : (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وقال لا غالب لكم اليوم من الناس ، وإني جار لكم) (سورة الأنفال / ٤٨) .

ولكن عندما التقى الجيشان وعاين الملائكة تتنزل من السماء ولى هاربا :

(فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ، وقال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله ...) (سورة الأنفال / ٤٨) وقد جرى مع أبي هريرة قصة طريفة رواها البخاري وغيره ؛ قال أبو هريرة : وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذتـــه ، وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، قال : إني محتاج ، وعليّ عيال ، ولي حاجة شديدة ، قال فخليت عنه ، فأصبحت فقال النبي ﷺ : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟ قال : قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، فخليت سبيله ، قال أما إنه كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود ، فرصدته ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ؛ قال : دعني ، فإني محتاج ، وعلي عيال ، لا أعود ، فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقـال رســول الله ﷺ : يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك ؟ قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته . فخليت سبيله . قال : أما إنه كذبك وسيعود ، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ، ثمَّ تعودَ ! قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت ما هو ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية ، فإنَّك لن يزال عليك من الله جافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال لي رسول الله ـ ﷺ : ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت يا رسول الله زعم أنّه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله ، قال : ما هي ؟ قلت قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وكانوا أحرص شيء على الخير ، قال النبي : أما إنه صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال : لا ، قال : ذاك شيطان » فقد تشكل هذا الشيطان في صورة إنسان .

وقد يتشكل في صورة حيوان : جمل ، أو حمار ، أو بقرة ، أو كلب ، أو قط .

خاصة الكلاب السود ؛ ولذا أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان) يقول ابن تيمية : « الكلب الأسود شيطان الكلاب والجن تتصور بصورته كثيراً ، وكذلك بصورة القط الأسود ؛ لأن السواد أجمع للقوى الشيطانية من غيره ، وفيه قوة الحرارة » .

جنان البيوت :

تتشكل الجان بشكل الحيات وتظهر للناس ، ولذا نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن قتل جنان البيوت ، خشية أن يكون هذا المقتول جنياً قد أسلم ، ففي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ بالمدينة نفراً من الجنِّ قد أسلموا ، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثا ، فإن بدا له بعد فليقتله ؛ فإنّه شيطان » .

وقد قتل أحد الصحابة حيّة من حيات البيوت ، فكان في ذلك هلاكه ، روى مسلم في صحيحه : أن أبا السائب دخل على أبي سعيد الخدري في بيته ، فوجده يصلي ، قال : فجلست أنتظره حتى يقضي صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ، فالتفت ، فإذا حيّة ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إليّ أن اجلس ، فجلست ، فلما انصرف أشار إلى بيت في الدار ، فقال : أترى هذا البيت ؟ قلت : نعم . قال : كان فيه فتى منّا حديث عهد بعرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ـ ﷺ ـ بأنصاف النهار ، فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « خذ عليك سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجل سلاحه ، ثمَّ رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوى إليها

بالرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكفف عليك رمحك ، وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني ، فدخل فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج ، فركزه في الدار ، فاضطربت عليه ، فما يدري أيهما كان أسرع موتا : الحية أم الفتى ؟ قال : فجئنا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فذكرنا ذلك له ، وقلنا ادع الله يحييه لنا ، فقال : « استغفروا لصاحبكم » ، ثمَّ قال : « إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ، فإنّما هو شيطان » .

تنبيهات :

١ ـ هذا الحكم ، وهو النهي عن قتل هذه الحيوانات خاص بالحيات دون غيرها .

٢ ـ وليس كل الحيات ؛ بل الحيات التي نراها في البيوت دون غيرها ، أمّا التي نشاهد خارج البيوت فنحن مأمورون بقتلها .

٣ ـ إذا رأيت حيات البيوت فنؤذنها أي نأمرها بالخروج ، كأن نقول : أقسمت عليك بالله أن تخرجي من هذا المنزل ، وأن تبعدي عنّا شرّك وإلا قتلناك .

فإن رؤيت بعد ثلاثة أيام قتلت .

٤ ـ والسبب في قتلها بعد ثلاثة أيام أننا نكون قد تأكدنا أنها ليست جنّاً مسلماً ، لأنها لو كانت كذلك لغادرت المنزل . فإن كانت أفعى حقيقية فهي تستحق القتل ، وإن كانت جنّا كافراً متمرداً فهو يستحق القتل ؛ لأذاه واخافته أهل المنزل .

٥ ـ يستثنى من جنان البيوت نوع يقتل بدون استئذان ، ففي صحيح البخاري عن أبي لبابة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (لا تقتلوا الجنان ، إلا كلَّ أبتر ذي طفيلتين ؛ فإنه يسقط الولد ، ويذهب البصر فاقتلوه) .

وهل كل الحيات من الجنّ أم بعضها ؟ يقول الرسول ـ ﷺ : « الحيّات مسخ الجنّ صورة ، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل » (رواه الطبراني وأبو الشيخ في العظمة باسناد صحيح) ، (راجع الأحاديث الصحيحة ٣ / ١٠٤) .

الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق :

ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أنس ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم » ، وفي الصحيحين عن صفية بنت حيي زوج النبي ـ ﷺ ـ قالت : « كان رسول الله ـ ﷺ ـ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثمَّ قمت لأنقلب ، فقام معي ليقلبني (يردني) ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ـ ﷺ ـ أسرعا ، فقال النبي ـ ﷺ ـ على رسلكما إنها صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! ! قال : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّا ، أو قال : شيئاً » .

ضعفهم وعجزهم :

الجن والشياطين فيهم جوانب قوة ، وجوانب ضعف ، قال تعالى : « إن كيد الشيطان كان ضعيفاً » (سورة النساء / ٧٦) وسنعرض لبعض هذه الجوانب التي عرفنا الله ورسوله بها .

لا سلطان لهم على عباد الله الصالحين :

لم يعط الرب سبحانه ـ الشيطان ـ القدرة على إجبار الناس ، وإكراههم على الضلال والكفر ، (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك

وكيلا) (سورة الإسراء / ٦٥) . (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك) (سورة سبأ / ٢١) . ومعنى ذلك أن الشيطان ليس له طريق يتسلط به عليهم لا من جهة الحجة ، ولا من جهة القدرة . والشيطان يدرك هذه الحقيقة ، (قال : رب بما اغويتني لأزينَّ لهم في الأرض ، ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) (سورة الحجر ٣٩ - ٤٠) .

وإنما يتسلط على العباد الذين يرضون بفكره ، ويتابعوه عن رضا وطواعية : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) (سورة الحجر / ٤٢) . وفي يوم القيامة يقول الشيطان لأتباعه الذين أضلهم وأهلكهم :(وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) (سورة إبراهيم / ٢٢) .

وفي الآية الأخرى : (إنّما سلطانه على الذين يتولونه ، والذين هم به مشركون) (سورة النحل / ١٠٠) .

والسلطان هو تسلطه عليهم بالإغواء والاضلال ، وتمكنه منهم ، بحيث يؤزهم على الكفر والشرك ويزعجهم إليه ، ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى : (ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) (سورة مريم / ٨٣) ، ومعنى تؤزهم : تحركهم وتهيجهم .

وسلطان الشيطان على أوليائه ليس له فيه حجّة وبرهان ، وإنما استجابوا له بمجرد دعوته إياهم ، لما وافقت أهواءهم وأغراضهم ، فهم الذين أعانوا على أنفسهم ، ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقته ومتابعته ، فلما أعطوا بأيديهم ، واستأسروا له سُلِّطَ عليهم عقوبةً لهم . فالله لا يجعل للشيطان على العبد سلطانا ، حتى يجعل له العبد سبيلاً إليه بطاعته والشرك به ، فجعل الله حينئذ له عليه تسلطا وقهرا .

وقد يسلط على المؤمنين بسبب ذنوبهم :

ففي الحديث « إن الله ـ تعالى ـ مع القاضي ما لم يَجُر ، فإذا جار تبرأ منه ، وألزمه الشيطان » رواه الحاكم ، والبيهقي بإسناد حسن (انظر صحيح الجامع ٢/١٣٠) .

ويروي لنا أبو الفرج ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قصة طريفة ، وبغض النظر عن مدى صحتها إلا أنها تصور قدرة الإنسان على قهر الشيطان إذا أخلص دينه لله ، وكيف يصرع الشيطان الإنسان ؟ إذا ضل وزاغ ، يقول الحسن : كانت شجرة تعبد من دون الله ، فجاء إليها رجل ، فقال : لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضباً لله ، فلقيه إبليس في صورة إنسان ، فقال : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله ، قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال : لأقطعنها . فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك ؟ لا تقطعها ، ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال : فمن أين لي ذلك ؟ قال أنالك . فرجع ، فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ، ثمَّ أصبح بعد ذلك ، فلم يجد شيئاً . فقام غضباً ليقطعها ، فتمثل له الشيطان في صورته ، وقال : ما تريد ؟ قال : أريد قطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى . قال : كذبت ، مالك إلى ذلك من سبيل ، فذهب ليقطعها ، فضرب به الأرض ، وخنقه حتى كاد يقتله ، قال : أتدري من أنا ؟ أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضباً لله ، فلم يكن لي عليك سبيل ، فخدعتك بالدينارين ، فتركتها ، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك) (تلبيس إبليس ٤٣) .

وقد حدثنا الله في كتابه عن شخص آتاه الله آياته ، فعلمها ، وعرفها ، ثمّ إنه ترك ذلك كله ، فسلط الله عليه الشيطان ، فأغواه ، وأضله ، وأصبح عبرة تروى ، وقصة تتناقل (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنَّه أخلد إلى

الأرض ، واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (سورة الأعراف / ١٧٥ ـ ١٧٦) . وواضح أن هذا مثل لمن عرف الحق وكفر به كاليهود الذين يعلمون أن محمداً مرسل من ربه ، ثم هم يكفرون به .

اما هذا الذي عناه الله هنا ، فقال بعضهم : هو بلعام بن باعورا ، كان صالحاً ثم كفر ، وقيل : هو أمية بن أبي الصلت من المتألهين في الجاهلية ، أدرك الرسول ـ ﷺ ـ ولم يؤمن به حسدا ، وكان يرجو أن يكون هو النبي المبعوث ، وليس عندنا نص صحيح يعرفنا بالمراد من الآية على وجه التحديد . وهذا الصنف (الذي يؤتي الآيات ثم يكفر) صنف خطر به شَبَه من الشيطان ، لأنَّ الشيطان كفر بعد معرفته الحق ، ولقد تخوف الرسول ـ ﷺ ـ هذا النوع على أمته ، روى الحافظ أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ـ ﷺ : (إن مما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن حتى إذا رئيت بهجته عليه ، وكان رداؤه الإسلام اعتراه إلى ما شاء الله انسلخ منه ونبذه وراء ظهره وسعى على جاره بالسيف ورماه بالشرك) قال : قلت يا رسول الله : أيهما أولى بالسيف : الرامي أم المرمي ؟ قال (بل الرامي) قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد (انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٢٥٢) .

خوف الشيطان وهربه من بعض عباد الله :

إذا تمكن العبد في الإسلام ، ورسخ الإيمان في قلبه ، وكان وقَّافاً عند حدود الله فإنَّ الشيطان يفرق منه ، ويفرُّ منه ، كما قال الرسول ـ ﷺ ـ لعمر بن الخطاب : (إن الشيطان ليفرق منك يا عمر) ، رواه أحمد ، والترمذي ، وابن حبان بإسناد صحيح (صحيح الجامع ٢ / ٧٤) . وقال فيه أيضا : « إني لأنظر شياطين الجن والإنس فرُّوا من عمر » ، رواه الترمذي

بإسناد صحيح ، (صحيح الجامع ٢ / ٣٢٩) .

وليس ذلك خاصاً بعمر ، فإن من قوى إيمانه يقهر شيطانه ، ويذله ، كما في الحديث : (إن المؤمن لينصى شيطانه كما ينصى أحدكم بعيره في السفر) ، رواه أحمد ، قال ابن كثير في (البداية ١ / ٧٣) بعد سوقه لهذا الحديث : (ومعنى لينصى شيطانه : ليأخذ بناصيته ، فيغلبه ، ويقهره ، كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه) .

وقد يصل الأمر أن يؤثر المسلم على قرينه الملازم له فيسلم ، أخرج الامام أحمد في مسنده ، ومسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة) قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : (وإياي ، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير) .

وفي رواية ابن عباس عن الامام أحمد باسناد على شرط الصحيح : (ولكن الله أعانني عليه فأسلم) . وفي رواية عائشة عن مسلم (ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم) .

تسخير الجن لسليمان :

سخر الله لنبيه سليمان في جملة ما سخر الجن ، والشياطين ، يعملون له ما يشاء ، ويعذب ويسجن العصاة منهم : (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد) (سورة ص / ٣٦ - ٣٨)

وقال في سورة سبأ : (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب ، وتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات) ، (سورة سبأ ١٢ ـ ١٣) .

وهذا التسخير على هذا النحو استجابة من الله لعبده سليمان عندما دعاه

وقال : (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) (سورة ص / ٣٥) . وهذه الدعوة هي التي منعت نبينا محمد ـ ﷺ ـ من ربط الجنى الذي جاء بشهاب من نار ، يريد أن يرميه في وجهه ، ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء قال : قام رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي ، فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك » ، ثم قال : (ألعنك بلعنة الله ثلاثا) ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله ! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً ، لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، فقال : (إن عدوَّ الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر ، ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة) . وقد تكرر هذا أكثر من مرة ففي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن عفريتاً من الجن جعل يتفلت علي البارحة ليقطع عليَّ الصلاة ، وإن الله أمكنني منه ، فذعته ، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون ، أو كلكم ، ثمَّ ذكرت قول أخي سليمان رب اغفر لي ، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ، فرده الله خاسئاً) .

كذب اليهود على سليمان :

يزعم اليهود وأتباعهم الذين يستخدمون الجن بواسطة السحر أن نبي الله سليمان كان يستخدم الجنَّ به ، وقد ذكر غير واحد من علماء السلف أن سليمان لما مات كتبت الشياطين كتب سحر وكفر ، وجعلتها تحت كرسيه ، وقالوا : كان سليمان يستخدم الجن بهذه ، فقال بعضهم : لولا أن هذا حق جائز لما فعله سليمان ، فأنزل الله قوله :(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (سورة البقرة / ١٠١) ثم بين أنهم اتبعوا ما كانت تتلوه الشياطين

على عهد ملك سليمان وبرأ سليمان من السحر والكفر : (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ... الآية) (سورة البقرة / ١٠٢) .

عجزهم عن الاتيان بالمعجزات :

لا تستطيع الجن الاتيان بمثل المعجزات التي جاءت بها الرسل تدليلاً على صدق ما جاءت به .

فعندما زعم بعض الكفرة أن القرآن من صنع الشياطين قال تعالى : (وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون) (سورة الشعراء / ٢١٠ ـ ٢١٢) .

وتحدى الله بالقرآن الإنس والجن : (قل : لئن اجتمعت الإنس والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (سورة الإسراء / ٨٨) .

لا يتمثلون بالرسول ﷺ في الرؤيا :

والشياطين تعجز عن التمثل في صورة الرسول ـ ﷺ ـ في الرؤيا : ففي الحديث الذي يرويه الترمذي في سننه بإسناد صحيح : (من رآني فإني أنا هو ، فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي) .

وهو في الصحيحين بلفظ : (من رآني فقد رأي الحق ، فإن الشيطان لا يتزيّا بي) ، (الجامع الصحيح ٥ / ٢٩٣) .

والظاهر من الأحاديث أن الشيطان لا يتزيَّا بصورة الرسول ـ ﷺ ـ الحقيقية ، ولا يمنعه هذا من التمثل في غير صورة الرسول ـ ﷺ ـ والزعم بأنه رسول الله .

ولذلكْ فلا يجوز أن يحتج بهذا الحديث على أن كل من رأى الرسول

- ﷺ - في المنام أنّه رآه حقّا ، إلا إذا كانت صفته هي الصفة التي روتها لنا كتب الحديث . وإلا فكثير من الناس يزعم أنّه رآه على صورة مخالفة للصورة المروية في كتب الثقات .

لا يستطيعون أن يتجاوزوا حدوداً معينة في أجواز الفضاء :

قال تعالى: (يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ، لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ، يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ، فلا تنتصران) (سورة الرحمن ٣٣ - ٣٥) .

فمع قدراتهم وسرعة حركتهم لهم مجالات لا يستطيعون أن يتعدوها ، وإلا فإنهم هالكون .

لا يستطيعون فتح باب أغلق وذكر اسم الله عليه :

أخبر بذلك الرسول - ﷺ - حيث يقول : (أجيفوا الأبواب ، واذكروا اسم الله عليها ؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً أجيف عليه) رواه أبو داود ، وأحمد ، وابن حبان ، والحاكم ، باسناد صحيح (الجامع الصحيح ١ / ٢٢٩) .

وفي الحديث المتفق عليه : (فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقا ، وأوكُوا قربكم ، واذكروا اسم الله ، وخمروا آنيتكم ، واذكروا اسم الله ، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، وأطفئوا مصابيحكم) .

(الجامع الصحيح ١ / ٢٧٠) .

وفي مسند أحمد : (أغلقوا أبوابكم ، وخمروا آنيتكم ، وأوكوا أسقيتكم ، وأطفئوا سرجكم ، فإنَّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقا ، ولا يكشف غطاءً ، ولا يحلُّ وكاءً) .